كتاب جديد

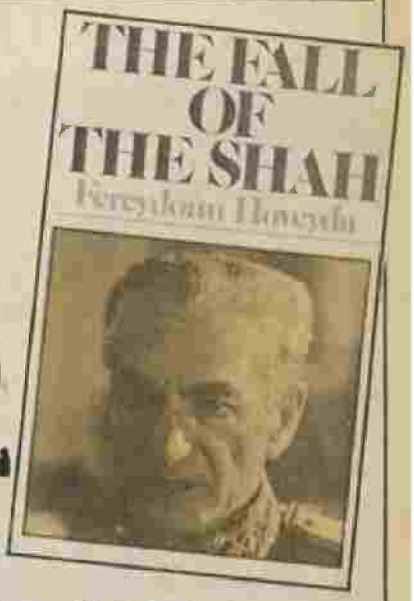

قصة سقوط الشاه

التقرير

« ستظل قصة شاه إيران السابق محمد رضا بهلوى لعدد غير قليل من السنين درسا من أبلغ دروس التاريخ الحديث فى الحكم والسياسة ، ومن هنا فإن هذه القصة ستبقى مثارا لاهتمام الكثيرين ، وعرضة للأخذ والرد . وللإفاضة وللإضافة » .

بداية.. ونهاية!

● المؤلف : فريدون هوفيدا لابع الشاه وللأمبر الخمينى

يرويها: فريدون هوفيدا

يقدمها: عبد العظيم حماد

وقد سبق لـ « أكتوبر » أن قدمت مجموعتين من الحلقات المسلسلة عن الشاه تناولت أولاهما قصة الأسرة البهلوية حتى عام ١٩٧٦ من وجهة نظر الكاتب الفرنسى الشهير جيراردى فيليه . وتناولت الثانية الأحداث التى أدت إلى سقوط الشاه من وجهة نظر الشاه نفسه .

واليوم تستكمل « أكتوبر » ما بدأته من عرض مختلف جوانب الأحداث الإيرانية من وجهات نظر متباينة إيمانا منها بحق قارئها فى رؤية الصورة من كافة الزوايا . فبدأ سلسلة جديدة تعالج الأسباب القريبة والبعيدة لسقوط الأسرة البهلوية على يد ثانى ملوكها والكيفية التى حدث بها هذا السقوط من وجهة نظر واحد من ألمع الدبلوماسيين الإيرانيين فى عهد الشاه هو فريدون هوفيدا شقيق أمير عباس هوفيدا أحد رؤساء حكومات « الخضرة الشاهانية الفارسية » العديدين وأكثرهم تفاوتا فى الحكم عليه من قبل المراقبين بين البراءة التامة والإدانة المطلقة . رغم أنه كان من أول ضحايا القصاص من رءوس الفساد والظلم فى إيران الشاهنشاهية بعد انتصار الثورة الإسلامية على الطريقة الخمينية .

ورغم وضوح المؤلف القاطع فى إدانة الشاه وأسلوبه فى الحكم . وسعيه الدائم لإثبات أن الشاه كان يسير باندفاع فى الطريق الى الهاوية . ورغم تصريحه بأنه لن يترك شعوره بالمرارة من إعدام أخيه (البرىء من وجهة نظره) يطغى على موضوعية تفكيره وتحليله للأحداث . فإنه كثيرا ما جعل همه الأول هو الدفاع عن أخيه . بل إنه حاول تصوير رفض أمير عباس النصائح الموالية له بالاستقالة على أنه بطولة يستحق من أجلها الثناء . كذلك سعى المؤلف دائما إلى تبرير تعاونه مع نظام الشاه الذى لا يتردد فى وصمه بالديكتاتورية والفساد والانفصال عن الواقع بأعذار واهية . أما ما قد يتوقعه القارىء من تحامل صارخ على الثورة الإسلامية وزعمائها فهو أمر لم يحدث إلا قليلا .

وبعد كل ما تقدم نبق للكتاب مزاياه الكثيرة وأهمها أنه يؤصل أسباب الثورة الإيرانية فى أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية . وأنه يقدم تحليلا جيدا لعلاقات القوى السياسية فى إيران فى تفاعلها الحى سواء بالتعاون أو بالصراع قبل الثورة وبعدها . فضلا عن أنه يقدم سردا ضافيا مقتربا بالشرح والتحليل لتطور الأحداث على الساحة الإيرانية بالطريقة التى أفضت فى النهاية إلى إعلان أول جمهورية فى إيران منذ ما قبل بزوغ فجر التاريخ .

فما الذى يقوله فريدون هوفيدا إذن ؟

كانت البداية – بداية النهاية للشاه . وبداية البداية للنظام الجديد – فى خطة شروق شمس يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٨ على سفوح جبال البرز المواجهة لمياه بحر قزوين حيث تعتد الوزارق الصغيرة وتروح لتجمع ملاحوها أغلى وأجود أنواع الكافيار لحساب ملك الملوك القابع فى شمرح وترفع فوق عرش الأكاسرة على بعد

● الرئيس كارتر : دفاعه عن حقوق الإنسان كان السبب المباشر فى أزمة الشاه .

خطوات من الساحل ومن نقطة الشاه الحيل بالسهل

فى تلك اللحظة كان إمام الشيعة الأكبر آية الله روح الله الخمينى فى طريقه إلى مطار أورلى فى العاصمة الفرنسية باريس مطرودا من العراق . وبعدها الكويت وقبلها تركيا . ابتداء لرضاة الشاه الجبار الذى ينبغى أن تخشى عداوته

لقد كان وصول الإمام الخمينى إلى بوفل لوشاتو بفرنسا إيذانا بتحوله من أكبر زعماء المعارضة للشاه إلى الزعيم الأوحد الذى هدمت إشارة من أصبعه كل ما بناه الشاه الأكبر رضا بهلوى بشوكته وجبروته وعليفته على العرش الشاه المخلوع بغروره وطموحه الذى لا حد له . فكيف حدث ذلك ؟

أى كيف تمكن الخمينى الذى طرد من إيران عنوة عام ١٩٦٣ دون أن يعبأ به الكثيرون . من طرد الشاه أولا ثم خلعه ومعه الحكم الملكى برمته بعد أقل من ستة شهور من تصريح الشاه المشهور إلى مجلة يو . إس . نيوز أندورلد ريبورت . ذلك التصريح الذى قال فيه « ليس بوسع أحد أن يطيح فى لأنى أحظى بتأييد ٧٠٠ ألف جندى وتأييد كل العالم ومعظم أفراد الشعب » ؟

حقا لقد كان الجميع يؤمنون بأن مسألة الإطاحة بالشاه مسألة غير واردة على الإطلاق أليس الرئيس كارتر هو القائل علنا وهو يحتل بليلة رأس السنة الميلادية الجديدة ١٩٧٨ فى طهران بناء على تقارير مخابراته أنه يود أن يعرب عن إعجابه المتزايد « بملك يتمتع بثقة المطلقة من جانب شعبه » . ومع ذلك فقد كان كارتر ولا أحد غيره هو السبب المباشر فى كل ما جرى وما سيجرى للشاه على أن ذلك لا يعنى أن أزمة نظام الشاه كانت من صنع كارتر . لكنه يعنى على وجه الدقة أن كارتر هو الذى جعل هذه الأزمة قضية يومية لدى كل إيرانى دون أن يفقه ذلك بطبيعة الحال .

لقد كان هناك الكثير من مظاهر السخط فى إيران قبل حملة جيمى كارتر لحقوق الإنسان التى سنها الرئيس الأمريكى فور توليه مهام منصبه . ولكن هذه المظاهر كانت فى الأغلب حوادث فردية

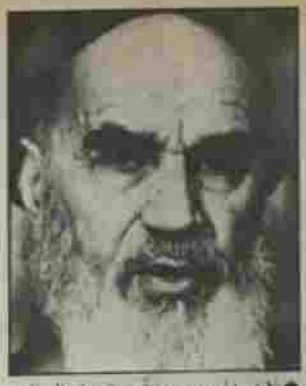

● الامام الخميني .. من أحد الزعماء إلى الزعيم الأوحد

فإذا اشتدت الحملة الأمريكية بدأت المعارضة الإيرانية التي كانت تركز في ذلك الوقت على حقوق الإنسان تأخذ طابعا جهاديا . فأعاد كريم سنجابي تأسيس مصدق تأسيس الجبهة الوطنية مستندا إلى أن النظام سيفكر أكثر من مرة قبل اعتقاله وقع زملائه بسبب الموقف الأمريكي الجديد الذي دفع قضية حقوق الإنسان والحريات الديمقراطية إلى مركز الصدارة . أما مهدي بازرجان الخامي الشهير فقد ألف اللجنة الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان برئاسته . وراح المحامون يرفعون البيان تلو البيان احتجاجا على القمع وأساليب السافاك والتدخل المستمر في أعمال القضاء .

استجابة مقيدة

هذا على الشاه الذي كان واثقا من التأييد الشعبي الخارق له بعد الثورة البيضاء ومنح العمال العديد من المزايا أن السماح بحزب يساري من الديمقراطية سيفوت على خصومه هدف إحراجه دون أن تصل الأمور إلى حد الديمقراطية الصحيحة على الطراز الغربي الليبرالي (وكان الشاه لا يخفي انتقاده للديمقراطية الغربية التي كان يعتبرها غير مناسبة لبلاده من حيث الشكل . أما من حيث المضمون فقد كان من رأيه أن الديمقراطية الإيرانية تتفوق على الديمقراطيات الغربية نفسها) . لذلك سمح النظام بقدر من النقد داخل الحزب السياسي الوحيد (راستاخيز) . وسمح كذلك بتخفيف حدة الرقابة على الصحف والتغاضي عن البيانات والمنشورات التي يصدرها زعماء المعارضة .

ولما كانت سياسة السير إلى منتصف الطريق لا تجدي مع الشعوب في قضية الديمقراطية ولما كانت سطوة السافاك مستمرة وسيطرة الشاه على كل مؤسسات الحكم بادية للجميع ... فقد أدى ذلك النزر اليسير من الديمقراطية إلى تدافع المعارضة لا إلى تهدئتها . وتحولت المساحة التي كانت تتمتع بقدر من الحصانة ضد التدخل الحكومي إلى مراكز للمعارضة . فتضاعفت بذلك أهمية دور رجال الدين في إشعال الثورة وقيادتها .

وفي هذه اللحظات بدأ صوت الخميني يصل إلى إيران من « النجف الأشرف » في العراق حيث منفاه الإجباري يوجه الأحداث نحو الوجهة التي لا يريد لها بديلا وهي تدمير النظام بأكمله .

وتعود الخلافات بين الشاه والخميني إلى أسباب عديدة في مقدمتها الصراع التقليدي في إيران بين الأئمة الدينيين والحكام الزمنيين . وهو الصراع الذي اشتد أواره منذ إلغاء دستور ١٩٠٦ الذي كان يعطي أئمة المذهب الشيعي الخمسة الكبار حق الاعتراض على أي قانون يرونه مخالفا للشريعة الإسلامية . وكانت آخر مواجهة بين الطرفين هي التي حدثت عام ١٩٦٣ حيث سقط عشرات الآلاف من المتظاهرين قتلى برصاص جيش الشاه وحيث خرج الخميني مطرودا إلى تركيا فالعراق .

وقد تضاعف من حنق رجال الدين وأفراد الشعب العاديين ضد الشاه في مواجهته مع الخميني (رغم أن الخميني لم يكن يخفي بكل

● أمير عباس هويدا : لن أستقيل حتى لا أكون مثل قارون السفينة

هذا التأييد الخارف عام ١٩٦٣) إسرافه في تشويه سمعة الرجل دون وازع من أخلاق أو كياسة . فقد راح في كل أحاديثه يؤكد أن الشعب الإيراني يحتقر الخميني لأنه ليس إيرانيا الأصل بسبب مولده في الهند . ولأنه جاسوس وعميل بالأجر للبريطانيين والعراقيين . أما وسائل الإعلام والصحف الموالية للعرش ، وكلها كانت موالية للعرش . فقد راحت بدورها تكيل أوضع الاتهامات للخميني جزافا . فمن قائل إنه يحض على الشذوذ الجنسي إلى قائل بأن أمه كانت راقصة عجوزة .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن أية مقارنة بسيطة بعقدها أي إيراني بين الرجلين كانت تنتهي لصالح الخميني حتما . أدركنا سر اطراد التأييد الشعبي للخميني والولاء له بسرعة غير مألوفة . لقد كانت المقارنة تظهر الشاه وحلا مخربا فاسدا منغطرسا وفي بعض الأحيان منيكا . بينما كان الخميني يبدو في أعين الجميع زاهدا متواضعا عفا يتحلى بالوقار والصلابة في الحق

لقد نشرت تلك الاتهامات الموجهة للخميني على الملأ يوم ٨ يناير ١٩٧٩ كرد غير مباشر من جانب الشاه على هجوم إمام الشيعة على سياسة في « أشرعة الكاسيت » المهربة عبر الحدود مع العراق . وفي اليوم التالي نظم سكان مدينة قم المقدسة مظاهرة احتجاج عارمة ضد هذا الأسلوب في الرد على إمامهم الأكبر . وفي تردي النظام في أفدح أخطائه فأمر قوات أمنه بفتح النيران على المتظاهرين ليسقط عشرات القتلى فاتحين بسقوطهم صفحايا الباب أمام طوفان من المظاهرات المتعاقبة كل واحدة منها تعلم إحياء لذكرى من سقطوا قبلها شهداء . وبذلك ذهب كل جهود الحكومة لاحتواء الاضطرابات سدى .

وهكذا لم تفلح اتهامات الحكومة للمتظاهرين بأنهم يتسافدون وراء مخطط أجنبي وأنهم يتعرضون استغلال بلادهم للخطر في معهم من الاستمرار في التظاهر تأييدا لتعليمات الخميني في الخارج أو وزميله شريعت مداري وبقية أنصاره المدنيين مثل بازرجان وإبراهيم يزدي وقطب زاده في الداخل . ففي شهر فبراير التالي اندلعت الاضطرابات في طهران وقم وتبريز ومشهد والأهواز وأصفهان وبازد وجهرم . وقرر المعلمون الإضراب عن الطعام .

أوهام الشاه

عند هذا الحد رأى الشاه أن القمع وحده لن يفيد في وقف الاضطرابات فقرر تعريض المؤلين له على القيام بمظاهرات مضادة . وكان الرجل يظن صادقا أن له أنصارا بين الشعب الإيراني . ولكن ذلك التكتيك بدوره لم يفلح . لأنه على حد تعبير أمير عباس هويدا في تلك الأيام كان المرء بحاجة إلى قدر كبير من الشجاعة لكي يدافع عن الشاه . مثلما كان بحاجة إلى قدر كبير من الشجاعة لكي يهاجمه في الأيام التي خلت .

وكان ذلك الاعتقاد من جانب الشاه جزءا من حلقة الأوهام التي كان يعيش أسيرا لها منذ منتصف الستينيات على الأقل . لقد كان الرجل يظن أن الشعب راض عن أسلوبه في الحكم بعد الثورة البيضاء أو ثورة الشاه للشعب التي أسفرت عن توزيع الأرض على الفلاحين . وبعد منح العمال عددا لا يستهان به من المزايا الاقتصادية والاجتماعية .

كذلك كان الشاه يعتقد أنه يحكم إيران حكما ديمقراطيا لأن هناك برلمانا وهناك انتخابات بصرف النظر عن أن إرادته كانت هي القانون مهما اتخذت من أشكال دستورية أما المعارضة في رأيه فليست إلا خيانة وعمالة لجهات أجنبية . إذ ماذا يريد الشعب أكثر من ذلك ؟ . بل إنه كان يتبرى بكل حماسة للدفاع عن أخطاء السافاك وانتهاكاته الصارخة لحقوق الإنسان لأن من كان يعتقلهم السافاك وتخضعهم لأبشع ألوان التعذيب لم يكونوا يريدون في نظر الامبراطور عن كونهم قلة ولصوصا وقطاع طرق أو إرهابيين يريدون فرض فكرهم السياسي بالقوة في أحسن الأحوال .

أما الوهم الأكبر الذي كان يسيطر على الشاه

● ثورة السافاك .. لم تسلم منها حتى النساء

بداية.. ونهاية!

فهو أن الشعب الإيراني يستبيح بالرجاء والشعور بالعدالة بعد الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي أجراها بنفسه ، ولم يكن هذا الوهم سوى نتيجة لانعزال الشاه عن واقع الحياة اليومية للطبقات الفقيرة في جميع أنحاء إيران . وتسلط الشعور بخيوط العظمة عليه . وحبه الجارف للتملق والمداهنة الأمر الذي اتضح في جلاء حين قامت بترجمة كتابة « نحو الحضارة العظمى » إلى الفرنسية تمهيدا لأوامر مباشرة منه .

وإلى جانب كل ما تقدم كان الشاه يعاني من كثير من التناقضات التي أردته مخلوعا فيما بعد . لقد كان يريد أن يكون حمورابي كاترينوس وفرانكو في آن واحد ، أي كان يريد أن يقوم بدور الرجل الذي يضع الديكتاتورية والرجل المسئد الذي لا يطيق فكرة الاعتراض عليه في الوقت نفسه . وكان الشاه يحاول كسب ثقة الشعب عن طريق القيام بدور الأب للشعب الإيراني كله في حين كان أفراد الأسرة المالكة يمتصون على ثروة الشعب بنهما واستغلالا دون إتاحة أشياء منه .

وقد ألقى أحمي يوما ما أنه حالته بالتقاط موقف حاسم من أمراء وأميرات الأسرة المالكة الذين

● الشاه .. أوما ويزيك هذا الكرسي

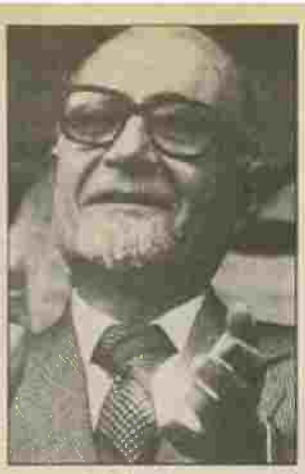

● مهدي بازرجان .. أنف لجنة للدفاع عن حقوق الانسان في إيران .

نجوم جوهم الشهيات بعد أن طلع الكيل . فوافق على إصدار قانون يمنع الأمراء والأميرات من المشاركة في أي أعمال أو مشروعات أو صفقات تكون الدولة طرفا فيها ولكنه في اللحظة الأخيرة وقف نشره رهبا ، ولم ينشر إلا بعد رحيله إلى الخارج حين كان لا يزال ملكا في إجازة .

وعند هذا الحد ربما يثور في ذهن القارىء سؤال له وجاهته . وهو مادا لم يستغل أمير عباس هويدا من رئاسة الحكومة وهو يرى هذه الأخطاء التي لم يستطع إصلاحها ؟ والواقع أن كان يرفض أن يكون كالقطران الذي للفز من السقيفة وهي على وشك الغرق

هدوء ثم إعصار

في أوائل الربيع خلت على إيران حالة من الهدوء النسبي ولكن بدعها الفجام الرئيس لم يزل الأمة في قبم للقبض على منبري الشعب فاندلعت الاضطرابات مرة أخرى . واختفت الشاير .

وفي محاولة جديدة لامتصاص السخط طرد الأمبراطور الخرال بصيري من قيادة السافاك ولكنه لم يحاكمه وبدلا من ذلك أرسله سفيرا إلى باكستان

وفيما كانت الأمور تزداد تأزما كان الشاه لا يزال يرفض بإصرار العمل الوحيد الذي يكفل له ولأسرته ولعرشه النجاة . كان هذا العمل يتحصر هو التحرك تحركة على جبهات ثلاث هي إعلان الحرب على الفساد تحدية وفي كل مرفق والحوار مع الزعماء الدينيين المعتدلين وعلى رأسهم آية الله شريعت مداري وأخيرا إجراء انتخابات حرة !!!

بدلا من ذلك انفجرت الصراعات الكامنة داخل حزب راستاخيز الذي أسسه الشاه (أي حزب النهضة) لإقصاء جامشيد آموزجار من رئاسة الحكومة . وكان زعماء الكتل المتصارعة يسعون كل بطريقه لتولي هذا المنصب . وكان أبرز المتصارعين أردشير زاهيدي السفير الإيراني في واشنطن وزوج ابنة الشاه السابق وأحد الجنرال فضل الله زاهيدي قائد انقلاب ١٩٥٣ الذي

● إبراهيم يازدي .. كان مع قطب زاده أكثر مروجي أفكار الخميني في الداخل .

أطلق تصدق واعاد الشاه إلى الحكم . وهو شاح بها لاندي الوزير السابق والسكرتير الأسبق للامبراطورة . وأخيرا على أميني رئيس الوزراء الأسبق الذي يقال عنه إنه رجل واشنطن في طهران

وجاء شهر رمضان لتزداد المعارضة ضراوة يزيد من حدتها رواج شائعات عن وصول جنود إسرائيل لدعم النظام . وكان حادث احراق سينما متر في عبدان يوم ١٩ أغسطس الذي راح ضحيته ٣٧٧ قتيلا هو نقطة اللاعودة في مسار الاضطرابات . وذلك أن كل الشبهات دارت حول السافاك فيما يتعلق بالمسئولية عنه . لاسيما بعد أن تأخر وصول فرق الإطفاء وهي من أفضل فرق الإطفاء في العالم كفاءة لكون عبدان هي مركز استخراج وتكرير البترول الإيراني .

وأعقب ذلك الحادث حادث إحراق سوق الخضر في طهران بينما كان كريم سنجابي زعيم الجبهة الوطنية يدعو إلى تشكيل حكومة ائتلافية تشترك فيها المعارضة دون جدوى .

الدعوة للجمهورية

وكان إصرار الشاه على رفض كل الحلول الوسط هو المناخ الملائم لازدهار دعوة الخميني إلى التخلص من الملكية نهائيا وإقامة الجمهورية الإسلامية . والواقع أن دعوة الخميني لإقامة جمهورية إسلامية قد صادفت النجاح بسبب الدور الذي لعبه فكر البروفسور الراحل علي شريعتي استاذ علم الاجتماع في جامعة مشهد في مبينة أذهان الشباب الإيراني على وجه الخصوص لفكرة الحكم الجمهوري الإسلامي استنادا إلى الفقه السياسي لأغلبية المذهب الشيعي .

ومع ذلك فإن كل ما فعله الشاه هو إقصاء آموزجار من رئاسة الحكومة واسناد هذا المنصب إلى جعفر شريف إمامي رئيس مجلس الشيوخ . وحدث ذلك في وقت كانت فيه المعارضة السياسية تطالب بتشكيل حكومة ائتلافية . والمعارضة الدينية المتمثلة لا تطمع في أكثر من عودة دستور ١٩٠٦ .

وعدا أن ذلك لم يكن هو الحل الأمثل فضلا عن أنه لم يكن الحل المشروط فقد استمرت الاضطرابات والمظاهرات لاسيما أن رئيس الحكومة الجديدة لم يكن فوق الشبهات . لذا كان شريف إمامي يقدم حكومته إلى البرلمان في الوقت الذي يقيم فيه ألوف الإيرانيين في الخارج لدفن ضحايا المظاهرات بصورة تكاد تكون يومية .

وهكذا لم يكد يحل شهر سبتمبر حتى كانت المخاوف بسقوط الشاه وحياة الخميني تتجدد أصداؤها من شمال إيران إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها . بل إن جنود الجيش كانوا يسارعون إلى إلقاء أسلحتهم والانضمام إلى الثوار وسط التحيب والدموع حين كان هؤلاء يقابلونهم بالورود منادين إياهم بإخوتنا في الله والوطن . فلم يكن ثمة بد أمام الشاه الذي اختار المضي في طريق المواجهة العنيفة إلى نهايته من إعلان الأحكام العرفية . وتعيين حاكم عسكري عام فيم هذا يوم ٨ سبتمبر الذي تصادف أنه كان يوم جمعة .

وقد عرف هذا اليوم فيما بعد بيوم الجمعة السوداء لكثرة من سقطوا فيه من القتلى على يد سلطات الأحكام العرفية . فقد قتل في هذا اليوم حوالي ٥٠٠ شخص حسب أقوال المعارضة وزاد الأمور سوءا سريان شائعة تفيد بأن الذين كانوا من الجنود الإسرائيليين الذين وصلوا سرا إلى إيران .

وسط هذا الجو طرحت عدة أفكار لم يؤخذ بأيها . فقد اقترح البعض إعادة علي أميني إلى السلطة لإجراء انتخابات حرة . ولكن ولاءه المعروف للشاطن حال دون ذلك بسبب اشتداد موجة الكراهية في إيران لكل ما هو أمريكي . وحاول الشاه بعد ذلك استقطاب نفر من زعماء المعارضة دون جدوى . كذلك فشلت حيلة الحكومة ضد زعماء الفساد في إقناع الشعب بنزاهة الحكم خصوصا بعد فرار كبار القضاة والقضاء منهم كباش فداء .

وعندما حل شهر أكتوبر جاء معه بعدة تطورات فقد اشترك العمال في الثورة عن طريق الاضراب لأسباب اقتصادية أولا ثم لأسباب سياسية فيما بعد . وأجبر الشاه حكومة العراق على طرد الخميني إلى الكويت ثم فرنسا التي كان وصوله إليها سببا مباشرا في تحول كافة فرق المعارضة للعمل تحت لوائه وما ذلك إلا لأن وجوده في فرنسا هيأ له سبل الاتصال الحر برجاله في إيران وبالشعب الإيراني من حلفائه .. وهو ما كان يفتقده حقا في العراق .

ومن هنا تبدأ الحلقة التالية .

البقية في العدد القادم